

قصة اللغة العربية (41) الإمام الكسائي - مقرئ القرآن الكوفي

الذي اعترض على البصريين

محمد صالح

السلام عليكم ورحمة الله اهلا بكم في حلقة مهمة من حلقات قصة اللغة العربية نتحدث فيها عن الرجل الذي ابتكر طريقة تفكير اخرى في النحو علي ابن حمزة الكسائي ونتحدث عن الدافع الذي جعله يخالف قواعد العلم التي كانت قد وضعت بالفعل في مدينة البصرة

00:00:03

هذه الحلقة مهمة وخاصة في الجزء الاخير منها عندما نحلل نظرة الكسائي للغة وهدفه من وضع علم النحو بهذه الطريقة ثم نقارنه بنظرة مدرسة البصرة لهذا اطلب منك ان تشاهدها للنهاية. خاصة قبل ان تعلق لانني لاحظت ان بعض المشاهدين يعلقون بسرعة بمجرد

00:00:29

رؤيه العنوان. وقبل ان يشاهدو محتويات الحلقة وهذه الحلقة مهمة بشكل خاص في حلقة لاحقة سوف نتكلم بامثلة كثيرة عن الاحكام التي اختلفوا فيها اما اليوم فسوف نحلل نظرتهم لعلم النحو

00:00:54

الكسائي هو شيخ القراء ابو الحسن علي ابن حمزة ابن عبدالله ابن بهمن ابن فيروز فارسي الاصل ينتمي الى قبيلة اسد بالولاء ولد قريبا من الكوفة في سواد العراق سنة مائة وتسعة عشر للهجرة

00:01:13

اما لقب الكسائي فالتصدق به لانه ارحم في كساء كما قال بنفسه وقيل كان يرتدي كساء وهو يقرأ الناس القرآن وقيل كان يعمل في خياطة الاكسسية في اول عمره المهم ان هذا اللقب التصدق به تماما وغطى على اسمه

00:01:38

يعرف الكسائي بشكل واضح كقارئ للقرآن وكواحد من اصحاب القراءات المتواترة ولكن له بصمة كبيرة في النحو بسبب العلاقة القوية بين قراءة القرآن واتقان اللغة كما سيأتي ويحكي عنه موقف يشبه ما حدث مع سيبويه في بداية حياته

00:01:59

فقد اخطأ في العربية وهو يتتحدث امام مجموعة من العرب الفصحاء يروي انه مشي مرة كثيرا حتى عي اي تعب فقال لقد عييت بشدید الياء فاستهجن جماعة العرب هذا وقالوا تجالسنا وانت تلهم

00:02:21

ان كنت اردت التعب فقل اعييت. وان اردت انقطاع الحيلة والتحير في الامر فقل عييت. بالتحفيف فعزم على طلب العلم وبدأ وهو كبير في السن وفي هذا بيان للإشارة الى حرصهم على نقاء النطق العربي لدرجة استهجانهم عندما سمعوا كلمة خاطئة

00:02:42

وكانت مدينة الكوفة من مراكز القراءات فثلاثة من اصحاب القراءات المتواترة كوفيون. وكان بها ابو حنيفة النعمان يدرس الفقه ولكنها تركت دراسة العربية حتى ذلك الوقت للبصرة الكب الكسائي على دراسة القرآن

00:03:05

فدرس في حلقات القراء مثل سليمان بن ارقم راوي الحسن البصري وابي بكر شعبة بن عياش وسفيان بن عيينة وقرأ على حفص الدوري وعلى الليث. ثم لزم حلقة حمزة بن حبيب الزيات فقرأ عليه القرآن اربع مرات

00:03:25

كذلك اخذ العلم عن جعفر الصادق والاعمش وغيرهم وكما نرى ان علم الكسائي الاساسي هو قراءة القرآن الكريم ولكنه رأى انه لن يبرع في القراءة الا اذا برع في معرفة لغة العرب والاعراب

00:03:46

وفي هذا قال تلميذه ومعاصره القراء انه تعلم النحو على كبر ولزم معاذ الهراء حتى انفذ ما عنده ولزم ايضا حلقة ابي جعفر الرئاسي. وكان من اهل العربية في الكوفة ولم يجد عندهما ما يريد

00:04:03

فذهب الى الbadia وخلاله العرب وفي النهاية ذهب الى اهل العربية من علماء البصرة واخذ يتنقل بين حلقات عيسى ابن عمر وابي

عمرو ابن العلاء ويونس ابن حبيب ثم التزم حلقة الخليل بن احمد الفراهيدي وهو شيخ العربية الراشر - 00:04:22

ولفت نظره كثرة حفظ الخليل للاشعار واقوال العرب. فسأله عن ذلك. كما ذكرت في حلقات الخليل فقال له من بوادي الحجاز ونجد وتهامة فذهب الكسائي ايضا في رحلة اخرى طويلة. واخذ يكتب عنهم حتى افني خمس عشرة قنينة حبر غير ما حفظ - 00:04:42 ولكن ما اختلف فيه الكسائي عن الخليل انه لم يكتف فقط بهؤلاء الاعراب الفصحاء. بل اخذ من جميع العرب بمن فيهم العرب الذين لا يقبل بهم الخليل وهم المقيمون في الحضر والمخالطون للاجانب. وهذا سبب كل الاختلافات - 00:05:04

فيما بعد وعندما عاد الى البصرة كان قد تمكن من لسان العرب. ورأى ان الخليل قد توفي وان يونس ابن حبيب اصبح صاحب الحلقة في مسجد البصرة فالترى حلقة ولكنه كان يحاوره محاورة عالم لعالم - 00:05:23

وشهد له يونس بسعة علمه ثم عاد الى مدینته الكوفة وقد ازداد علمه واستعمل علمه في قراءة القرآن الكريم. لأن القرآن هو محور دراسته وسبب طلبه للعربية في الأساس فكان يقرئ الناس وهم يكتبون. ودعا صيته - 00:05:41

وكان الكسائي رجلا وقورا وله هيئة عالم وحدث ان اراد الخليفة المهدي العباسى ايجاد مرب لابنه هارون الرشيد فاختبر رجلا بان قال له كيف تأمر من السواك وقال استك يا امير المؤمنين - 00:06:02

فلم يقبل به الخليفة وقال التمسوا لنا من هو افهم من ذا فقالوا هناك رجل يقال له علي ابن حمزة الكسائي من اهل الكوفة. قد قدم من البادية قريبا. فكتب الخليفة له يستجيب - 00:06:20

فلما دخل عليه قال له المهدي يا علي بن حمزة كيف تأمر من السواك؟ فقال سك يا امير المؤمنين قال له احسنت واصبت. وامر له بعشرة الاف درهم. وان يكون مربيا لابناته. هارون الرشيد وموسى الهادي - 00:06:36

ولكن هارون الرشيد هو الذي اشتهر فيما بعد اصبح الكسائي مربيا لابناء الخليفة. وهكذا في ليلة وضحاها اصبح من علية القوم وعندما توفي المهدي وتولى الحكم ابنه الرشيد بعد فترة عهد اليه بتأديب الامين والمأمون. واتخذه جليس - 00:06:56 وصاحبها. وهكذا ازداد شأنه اكثر ورغم علمه الكبير كان يسبقه لسانه فيلحن احيانا في القراءة. روي مرة انه كان يصلی اماما بالخليفة هارون الرشيد فاعجبته قراءته فلحن لحنا لا يقع فيه طفل صغير - 00:07:18

اراد ان يقول لعلمائهم يرجعون فقال لهم يرجعون قال الكسائي بعد ذلك فوالله ما اجترأ هارون ان يقول لي اخطأت. ولم يرد عليه في الصلاة ولكنه لما سلم قال لي يا كسائي اي لغة هذه؟ - 00:07:38

فقلت يا امير المؤمنين قد يعذر الجواب وقال اما هذه فنعم وذكر الذهبي خبرا اخر روى في سير اعلام النبلاء عن خلف ابن هشام ان الكسائي قرأ على المنبر انا اكثرا منك مالا بالنصب. فسألوه عن - 00:07:57

وصار في وجوههم فمحوا الكلام. وقال لخلف يا خلف من يسلم من اللحن؟ ولا يطعن هذا في امامته ولا قوة لغته فقد ورد عن كثير من الائمة اخطاء مثل هذه. وكان من العلماء من يدرى صناعة النحو ولا يقيم الاعراب صحيحا في كلامه - 00:08:16

الذى ذكره الحافظ ابن كثير عن العلامة صدر الدين ابن المرحل قال انه كان يحفظ المفصل في النحو للزمخشري وكان مع ذلك يلحن ولعل السبب الاساسي في هذه الاطباء هو زلات اللسان وتأثير اللهجات ومخالطة غير الفصحاء - 00:08:38

العرب الاقدمون كانوا يتكلمون العربية السليمة سليقة بغير تفكير. اما بعد ذلك فالناس يحتاجون الى الدراسة والى طول تدريب والتفكير قبل نطق الكلمات وكان يجلس بالجامع على مقعد مرتفع يقرأ الناس القرآن حتى صارت له قراءة مشهورة متواترة - 00:08:59

وكان الرشيد يوقره و يصلی خلفه ومن الواضح ان قوته علاقته مع الخليفة قد جعلت له مكانة عالية اثرت فيما بعد في مواجهته سيباويه سوف افرض حلقة خاصة لهذه المناظرة. ولكن لغرض هذه الحلقة اقول باختصار ان الكسائي و سيباويه اختلف - 00:09:22 في اسلوب لغوي رفضه سيباويه وقال انه خطأ على الاصول التي وضعت في البصرة فيما قال الكسائي انه يجوز. واستشهد على ذلك باعراب يدعون عرب الحطمة يعيشون قب بغداد ولم يكن سيباويه او البصريون يعتبرونهم مصدرا للغة. لأنهم يخالطون الاجانب منذ زمن طويل - 00:09:46

ولكن يبدو ان مكانة الكسائي العالية اثرت عليهم فشهدوا بما يريد رغم ان الحق كان مع سيبويه. كما سنبيين في الحلقة القادمة وهذه الحادثة تدعى الحادثة الزنبورية بعد هذه الحادثة بقليل توفي سيبويه - [00:10:12](#)

وذهب الاخفش الذي تكلمنا عنه في الحلقة الماضية غاصبا الى الكسائي فصلى خلفه في المسجد ثم جلس في حلقته. وكان تلاميذ الكسائي حوله. منهم الفراء والاحمر وابن سعدان سلم عليه الاخفش وسأله مسائل كثيرة - [00:10:32](#)

وكلما اجاب الكسائي خطأه الاخفش. قال الاخفش انه خطأه في نحو مائة مسألة فغضض تلاميذ الكسائي وهموا ان يفتكوا بالاخفش ولم يكونوا يعرفونه ولكن الكسائي كان رجلا عاقلا وله هيبة فمنعهم - [00:10:52](#)

ثم قال له بالله انت ابو الحسن سعيد ابن مساعدة؟ فقال نعم فقربه وعانقه واجلسه بجواره ثم قال له لي اولاد احب ان يتأدبو بادبك وان يخرجوا على يدك وتكون لي غير مفارق - [00:11:10](#)

اي ان الكسائي قد احتوى غضب الاخفش. خاصة بعد الموت المفاجئ والمأساوي لسيباويه وهكذا درس الاخفش كتاب سيبويه الذي يحتوي علم الخليل وسيباويه للكسائي كما درسه لغيره من الكوفيين وكما اوضحنا في الحلقة الماضية كان الاخفش كثير المخالفه سيباويه - [00:11:28](#)

وربما يكون هذا ما حفظ الكسائي لمتابعته وابتكار اسلوبه الخاص. وهو ما تطور فيما بعد الى النحو الكوفي ولا شك ان الكسائي هو المؤسس الحقيقي للنحو في الكوفة فان العلماء الذين كانوا قبله لم يتركوا علمًا كثيرا - [00:11:53](#)

وكانت المدينة تنشط في علوم اخرى اما النحو فكان حتى ذلك الوقت مركزا في البصرة وقد توفي الكسائي رحمة الله عندما كان في احدى الرحلات مع هارون الرشيد واصابه المرض هو وامام الفقه محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الامام ابي حنيفة - [00:12:12](#)

توفي كلاهما في نفس الرحلة ودفنهما الرشيد في مكان يسمى رمبويه قريبا من الري في اقليم فارس. وقال اليوم دفنت النحو واللغة والان اتكلم عن نقطة في غاية الالهمة توضح الفارق بين عقلية الخليل والبصريين من جهة وبين عقلية الكسائي - [00:12:34](#)

اذا كان الباعث الاول عند الخليل بن احمد مؤسس النحو في البصرة هو ضبط اللغة ليتكلم بها الناس بحيث لا يصيّبها خلل فان الباعث الاكبر عند الكسائي هو قراءة القرآن على لهجات العرب المختلفة. لانه في الاصل قارئ للقرآن - [00:13:02](#)

لهذا كان يريد الحفاظ على كل اللهجات وان يعتبرها كلها صحيحة كي لا تعتبر بعض قراءات القرآن خاطئة وكان المصريون لا يعترضون على قراءات القرآن الكريم. ولكنهم لا يأخذون بلهجاتها عند وضع قواعد النحو. لتنستقيم السنة - [00:13:21](#)

على ما شاع من كلام العرب اما الكسائي فربما خشي اندثار هذه اللهجات فاعتبرها جميعا صحيحة وعمل على توسيعة قواعد النحو لتأخذ بها ايضا يمكن ان نعتبر الكسائي كجامع للتحف والنوادر. فهو يريد حفظ كل ما ورد عن العرب ولهجاتهم وما ترتب على - [00:13:41](#)

من قراءات وهذا امر جيد في قراءات القرآن. ولكن لا يمكن تطبيقه في النحو. لانه سيسبب اضطرابا هائلا وسيمنع ضبط القواعد كما سابين في حلقة النحو الكوفي فكل كلمة سيكون لها احكام كثيرة لا يمكن جمعها في قاعدة - [00:14:06](#)

لانك لن تعدم بيتا ورد من هنا او هنا عن العرب يؤكّد طريقة نطقك المختلفة لكل كلمة هذه النقطة مهمة جدا. وساعيدها لتبثت في ذهنك تعامل الكسائي مع شواد ونادر كلام العرب يختلف عن البصريين - [00:14:28](#)

اثبت البصريون شواد الكلام ولكنهم لم يستعملوها في النحو زكروها كطرق كلام لا تجوز فيما اثبته الكسائي لاحتفاظ بالنادر من كلام العرب وحفظ اللهجات من الضياع واستعملها في اقرار قواعده - [00:14:49](#)

طريقة المصريين هي الطريقة العلمية في وضع القواعد التي يجب ان تكون شاملة ومحكمة. والا فلن تكون هناك قاعدة تحكم الكلام اما طريقة الكسائي فهي كجامع للتحف والنوادر والموثق للشريدي والغريب من اللغة - [00:15:07](#)

يريد ان يحافظ عليها. ولكن عندما استعملها في قواعد النحو سبب ذلك البلبلة وهناك نقطة اخرى في حين اكتر البصريون من التعديل المنطقي كما مر بنا كان الكسائي والكوفيون بوجه عام اقل اعتمادا منهم على هذا الاسلوب - [00:15:28](#)

فعندما اثير نقاش حول حالات بناء واعراب كلمة اي وحدث اختلاف معقد ونقاشات كالعادة سئل فيه الكسائي فقال ببساطة اي خلقت

هكذا علينا فقط ان نعرفها كما هي ولا حاجة بنا للتعليق - 00:15:51

اي ان بعض الظواهر يصعب تفسيرها ويكتفي ان نصف حدوثها وان ننطقها كما نطقها العرب وبتطبيق هذه الفكرة البسيطة على المثال الذي اوردته في الحلقة الماضية عن الاخفش عندما اختلف مع سبب عدم جر الفعل المضارع واتى كل منهم باسبابه المنطقية يمكن ان نقول ببساطة - 00:16:10

اننا لا نحتاج اصلا الى معرفة سبب عدم جر المضارع كل ما نحتاجه هو التحدث به كما تحدث العرب متى نرفعه بشكل صحيح؟
ومتى ننصبه؟ ومتى نجزمه ولا نحتاج الى ان نعرف اسباب العلامات - 00:16:34

فقط نحتاج الى ان نعرف كيف نطبقها بشكل صحيح ولكن الكسائي ايضا علل منطقيا في مواضع اخرى نتيجة دراسته لكتاب وتأثره بمنهج البصريين. ولكن بصورة اقل من غيره ولو اتبع الناس هذا الاسلوب من البداية لاختفى كثير من التعقيد من علم النحو -

00:16:51

على ان من تلاميذ الكسائي من اكثر من هذا الاسلوب الكلامي وخاصة تلميذه الفراء الذي كان متكلما على طريقة الاعتزال واكثر من المنطق. كما سنرى عندما نتكلم عنه هذه هي الفكرة العامة وجواهر الاختلاف بين المدرستين واسبابه - 00:17:15

ومع ان الخلاف بدأ حول طريقة استنباط الشواهد ولكن اكتسب صورة المنافسة فيما بعد بسبب حرص كل مدينة على التفوق وبسبب الوضع السياسي الذي كان متواترا بين المدينتين ولكن هذا هو الجوهر الاصلي - 00:17:36

هكذا تكون قد تعرفنا على شخصية واسلوب الكسائي في اللغة العربية. وتأسيسه لطريقة تفكير جديدة والان استطيع الحديث في الحلقة التي ينتظرها الجميع وهي احداث المسألة الزنبوية بين سببويه والكسائي - 00:17:54

ثم ساتبعها بحلقة عن خصائص النحو في الكوفة بوجه عام مع امثلة لانواع الخلافات شakra لكم على متابعة هذه الحلقة لا تنسى ان تضع علامة اعجاب وان تشتراك معنا على القناة كي تتتابع جزءا من تاريخ لغتنا العربية - 00:18:12
واكتب التعليق الذي تراه مناسبا اسفل الحلقة شakra لكم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - 00:18:32